هذا التسلح . بل ترى فيه تحديا وتهديدا خفيا لها لتأييد السياسة التي ترى الى حرمانها من مستعمراتها ومطامعها الاستعمارية والاقتصادية المشروعة ، وأما رومة فلا تشك انه موجه اليها توجيها مباشرا لحرمانها من ثمرات تفوقها العسكرى وانتصارها فى الحبشة وتهديد سلامة امبراطوريتها الاستعمارية التى كسبتها بسيفها ، ولذلك رأينا المجلس الفاشستى الأعلى يجتمع بسرعة ويقرر مواصلة التسليح دون هدنة أو توقف ، وان يترك فكرة الاتفاق على تحديد التسليح نهائيا ، وسيقترن هذا القرار باجراء مناورات بحرية وجوية كبرى فى مياه المضيق الواقع بين طرابلس وصقلية ، وهو المضيق الذى قد تفكر ايطاليا فى اغلاقه فى حالة الحرب لتقطع المواصلات البريطانية فى البحر الابيض المتوسط

وهكذا نرى معركة التسليح تضطرم بين الدول الكبرى . ولا ننس ان فرنسا قد اقرت كذلك برنامجا هائلا للتسليح ، وان روسيا السوفيتية قد دججت سلاحا وأضحت أقوى دول القارة. بيد أنه مما لاريب فيه أن للتسليح البريطانى آثارا يغتبط لها أنصار السلام ، ذلك أن بريطانيا لا تطلب مزيداً فى السلطان والملك ، ولا تفكر فى فتوحات أو غزوات استعمارية جديدة ، وانما تريد الدفاع عن امبراطوريتها القائمة . ومقاصدها الدفاعية ظاهرة لا ريب فيها ، وفى وسع بريطانيا متى أتمت تسليحها واستكملت قوتها أن تغدو بمالها من الكلمة النافذة والقوة المرهوبة عاملا حاسما فى استتباب السلم العالمى (٠٠٠)

كتابان جديدان

الشخصية

التربية الانكليزية

تاليف الاستاذ محمد عطية الابراشى

أول كتابين ظهرا فى اللغة العربية عن المثل الأعلى للشخصية الانسانية ، والتربية الانكليزية الاستقلالية فى البيت والمدرسة . وهما خلاصة عشرات من الكتب .

وثمن الأول ٨ ص ، والثانى ١٢ ص

يطلبان من ملتزمة نشرها

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

فى الأدب المقارن

الحـــرب

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ نخرى أبو السعود

حب الحياة والاقبال على متعاتها والرغبة فى التكثر من خيراتها مركب فى طبائع الأحياء . وليس لحاجات الحى ورغباته ومطامحه نهاية ، بل تبقى له حاجة ما بقى كما قال الشاعر ؛ والنزاع بين الأحياء على خيرات الحياة من أجل ذلك متصل لايفتر ، وهيهات يفتر وحب الخلاف والنزاع والجلاد ذاته بعض طبائع الاحياء ، والشغف بالقلب والتخايل بالقوة والزهو بالسيادة من أكبر مطامع الأحياء والانسان خاصة ، ومن ثم عرف الانسان الحرب من أول عصوره واشتغل منذ همجيته بمكافحة الأحياء من الوحش ومن أبناء جنسه ، وتم له النصر من قديم على أمة الوحش ، وما تزال معارك الانسان مع أخيه ـ أو عدوه ـ الانسان متصلة تشب بين حين وحين

وقد كابد الانسان فى شتى العصور أهوال الحروب وعلم علم اليقين عواقبها الوخيمة ؛ بيد أنه لم يستطع بعد أن ينبذها ، لقيامها على غرائز فى طبعه راسخة متأصلة ، ولما تليح به أمام عينيه من مزايا النصر ومغانمه ومجده وللالائه ، ومن ثم كانت مهمة دعاة السلم من أشق المهام ومطلبهم من أبعد المطالب ، وقد هبوا فى الفترة بعد الفترة ينددون بالحرب وبلاياها ومغباتها ، فكانت صيحاتهم تترك صداها فى نفوس الكثيرين ، لا سيما فى أعقاب الحروب الطاحنة التى أهلكت الحرث والنسل ، ثم لا تلبث غرائز الانسان الفطرية أن تعاوده على أشدها ، وتبدأ الأمم سيرتها الأولى من الطمع والتفانى وتحكم القوة التى لا يفصل سواها بين المطامع المتضاربة

وللحرب آثارها المشهودة فى أدب كل أمة بلا استثناء . ولتلك الآثار ثلاث نواح : فالحرب أولا من أهم وسائل اتصال الأمم واختلاط الأفكار وتلاقح الثقافات ؛ وهى ثانياً وحى الجم الغفير من نظم الشعراء ونثر الكتاب الواصفين لوقائعها وسلاحها ورجالها ، الممجدين لأبطالها وانتصاراتهم ، المفاخرين بما كان دحر الأعداء وحماية الذمار وسلامة الشرف الرفيع من الأذى ؛ والحرب من جهة ثالثة أوحت بآثار أدبية شتى فى تبغيض القتال ، وتسفيه اعتداء

الانسان على الانسان ، والحض على السلم والدعوة إلى الاخاء والصفاء وإن كان أثر هذه الدعوة فى الأدب أقل كثيراً مما فيه من الترنم بمجد الانتصار والتغنى بالعز والغلب ، ولم تكثر آثار تلك الدعوة فى الأدب إلا فى العصر الحديث

وكل هاتيك الآثار بينة فى الأدبين العربى والانجليزى ، فقد خبت الأمتان وأوضعتا فى مجال الحروب . وكان بين كل منهما وبين جيرانها وأعدائها ملاحم ومواقع جسام ، وشهد أديبها قيام نهضة حربية عظيمة وتشييد أمبراطورية واسعة ، وأنجبت كل منهما عظماء القادة وحازت مشهود الانتصارات ، وذاقت أحيانا مرارة الهزيمة ، ووقفت مراراً حيال الأخطار الجائحة التى تهدد كيانها وحريتها وتقاليدها ، وشهدت الكثير من أمثال هذا كله يجرى بين الدول المجاورة والأمم المعاصرة لها ، وعلى كثرة ما يحتويه الأدب الانجليزى من آثار كل ذلك فان ما فى الأدب العربى منه أكثر ، وذلك لأسباب عديدة :

فأولا ارتقى الأدب العربى وتوطد والأمة العربية ما تزال منشقة متناضلة ، تتفاخر قبائلها بأيامها وانتصاراتها ، أما الأدب الانجليزى فلم يبلغ عظمته إلا فى ظل القومية الموحدة ، ولم تنشق الأمة على نفسها ويمتشق بعضها الحسام لقتال بعض إلا مرة واحدة فى عهد الصراع بين الملكية المطلقة والنظام الدستورى ، وهى الفترة التى أنجبت القائد العظيم كرومويل ، وفيما عدا ذلك يمتاز التاريخ الانجليزى بخلوه من الحروب الأهلية

وثانياً كانت الحروب أكثر طروءاً فى تاريخ العرب منها فى تاريخ الانجليز . حتى بعد توطيد الأمبراطورية : فان تلك الأمبراطورية ظلت — ما دامت لها قوتها — تجالد أعداءها فى الدين من روم ووثنيين ، حتى إذا ما وهنت قوتها انقسمت على نفسها ، وكثرت فى داخلها الدويلات والحروب

وثالثاً لأن كثيراً من أعلام الأدب العربى كعنترة وقطرى بن الفجاءة والمتنبى وأبى فراس ، كانوا جنوداً يشهدون الوغى ويتمدحون بمآثرهم فيها ، وقل من أدباء الانجليزية من كان كذلك ، بل لقد ذكر أن المقاتلة فى عهد التلاحم بين على ومعاوية والخوارج كانوا إذا تهادنوا ليلا تقابلوا تقابل الأصفياء يتناشدون الأشعار

ورابعاً كان جل شعراء العربية المتأخرين متصلين بالأمراء والقواد ، فلم يكن لهم ندحة عن وصف أعمال ممدوحيهم الحربية

كان العرب فى الجاهلية فى قتال لا يكاد يهدأ ، وكانت بين قبائلهم وأشرافهم ثارات وعداوات لا تكاد تنتهى حتى اضطروا أن يتخذوا لهم موضعاً حراما ووقتاً حراماً ما تهدأ فيه الخصومات وتغمد الصوارم وتتصل أسباب الحياة والتعاون ، وبالتمدح بالنصر فى تلك الحروب والتفاخر بأيامها والتوعد والتربص ، كان أكثر ما قيل من شعر فى الجاهلية . وظلت لهذا الباب من الشعر المسمى بالحماسة مكانته بعد انقضاء عهد الجاهلية بطويل ، وبه بدأ أبو تمام مختاراته الشعرية وبه سماها ، وكثر فى الشعر الجاهلى ذكر السيوف والرماح والخيول وغيرها من وسائل الحرب ، وكثرت فى العربية أسماؤها وأوصافها ، وارتقى بين العرب البصر بالحروب وتأصلت فيهم ملكاتها ، حتى أخرجت الجزيرة صناديد الاسلام الذين اصطلموا كتائب قيصر وآل ساسان ، ومن الشعر الذى يعرض صور حروب ذلك العهد معلقة عمرو بن كلثوم التى يقول منها :

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
وكنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا

وكانت الرسالة النبوية ، وكان صاحبها يجمع إلى عبقرياته العظيمة المتعددة التى لم تجتمع لإنسان ، البصر بالحرب والبلاء فيها فتخلف فى أشعار ذلك العهد ولا سيما شعر حسان أثر ما كان بين المسلمين والكفار من كفاح ؛ حتى إذا ماوحد الاسلام قلوب العرب انصرفوا إلى جهاد أعداء الدين ، ومن عجب أن عصر الفتوح الباهر الذى تلا ذلك لم يترك فى الأدب العربى إلا أثراً ضئيلا . وليس امتلاء النفوس برهبة الدين هو كل السبب فى ذلك ، بل يرجع ذلك أيضاً إلى جدة الحالة التى وجد العرب بها أنفسهم : من قتال أمم مخالفة لهم فى الجنس واللسان والمسكن ووسائل القتال ، ولعلهم لم يجدوا من اللذة والغبطة ودواعى الفخار فى اجتياح تلك الجيوش المرتبة ، ما كانوا يجدونه فى مصاولاتهم البدوية المملوءة بالكر والفر والمساجلات الفردية .

وأهم من هذا وذاك أنهم لم يتعودوا الفخر بالأعمال القومية ، التى يشترك فى فخارها المضرى والبكرى والتغلبى ، ولم يتعودوا أن ينظموا القصيد فى الفخر على أعجمى ، وإنما هم كانوا يترفعون على الأعجمى ترفعاً بدهياً بسيطاً لا يتكلفون له عناء النظم ، ولا يحتفون بالقول ، وآية ذلك حكاية الأعرابى الذى سئل : أتحب أن تكون ابن أعجمية ولك قصر فى الجنة ؟ فقال : لا أحب اللؤم بشىء . قيل : فان أمير المؤمنين ابن أمة ، قال : أخزى الله من أطاعه !

إنما كان الفخر كل الفخر عند العربى فى الظفر بعربى مثله ، من قبيلة معادية لقبيلته ، قد توارثت قبيلتاهما العداوة والتراث جيلا بعد جيل . وما هى إلا أن دبت الفتنة من جديد بين العرب حتى

ظهر أثرها فى الشعر : فهدد لمعاوية وحزبه ، ومناصر لبنى هاشم أو مناصب لهم . ومفاخر بكلب أو بتغلب أو معير لهذه أو لتلك ، إلى عهد بشار الذى يتمدح - على كونه من الموالى - بالعصبة المضرية التى تهتك حجاب الشمس ؛ وظل الشعراء الذين يمدحون الخلفاء والأمراء والقواد ويمدحون بلاءهم فى الحروب ، لا ينسون أن يذكروا مفاخر قبائلهم من قبل وبلاءهم فى الوغى ، فاذا مدح الشاعر الحجاج ذكر ثقيفاً . أو عبد الملك ذكر أمية ، وظل الشعر العربى دائماً يردد ذكر بنى مطر وبنى شيبان وبنى تنوخ وبلاء كل أولئك فى الحروب ، وكان التساجل بين الشعوبيين وأنصار العربية فلم يكد يترك أثراً فى الشعر العربى ، وحتى المتنبى يحفل شعره بذكر قبائل من مدحهم على الموالى ، رغم تعصبه للعربية ، وطول تأمله من أن يرى عرباً ملوكها عجم

..بجانب تلك العاطفة القبلية تمت تدريجا عاطفة أخرى هى الرابطة الاسلامية ، إذ تمكن الاسلام من نفوس معتنقيه ومجتمعهم تمكنا أحله محل القومية ، وترددت تلك العاطفة فى أشعار الشعراء الممجدين لبلاء الخلائف والأمراء فى دفاع أعداء الملة ، وكان للاسلام فى أول ظهوره عدوان كبيران : الوثنية وزعيمتها فارس ، وقد فرغ من شأنها عاجلا ، والنصرانية وممثلتها الدولة الرومانية ، وقد ظل جهادها دائما من أول مهمات الخلفاء وولاة الثغور ، وظلت حربها من أهم مايشغل بال المسلمين ويغذى عاطفتهم المشتركة وشعورهم القومى ؛ ويتجلى أثر تلك الحروب بين الدولتين ، أو بين الديانتين ، فى أشعار أبى تمام والبحترى والمتنبى ؛ ولما أعيت الدولة الرومانية الحيل استنجدت بغيرها من أمم النصرانية ، فكانت الحروب الصليبية ، التى ظهر أثرها فى شعر شعراء مصر والشام ، ومن ذلك قول البهاء زهير فى السلطان الأيوبى :

فابلغ رسول الله أن سميه حمى بيضة الاسلام من نوب الكفر
وأقسم إن ذاقت بنو الاصفر الكرى فلا حلمت إلا بأعلامه الصفر

وبلغ المسلمون البالغ فى فنون الحرب البرية والبحرية ، وعنهم أخذ الصليبيون ، ومن لغتهم نقل الفرنجون كلمة الأميرال أو أمير البحر وغيرها من مصطلحات القتال ، وحفل شعرهم بوصف المعارك والجيوش ، وما توقعه بأرض العدو من دمار ، كوصف أبى تمام لتخريب عمورية ، ووصف الأساطيل ؛ والمتنبى هو أصدق وصاف الحرب فى المتأخرين وأروعهم لأنه كان يصف مايميل إليه بطبعه وما يمارسه ويشاهده بنفسه ، ولا تكاد ترتوى منه لهفته ، ومن ثم لاتقل أشعاره الحربية عن أشعار الجاهليين والاسلاميين صدقا وفطانة وتفوق بعضها جزالة وتجويدا ، ومن جيدها وصفه لخيل سيف الدولة الذى منه :

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول
شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته وصهيل
كتائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف يسيل

ومن جيد وصف الأساطيل قول ابن هانىء الأندلسى :

أنافت بها آطامها وسمالها بناء على غير العراء مشيد
وليس بأعلى كبكب وهو شاهق وليس من الصفاح وهو صلود
إذا فرت غيظا قد ترامت بموج كما شب من نار الجحيم وقود

ولم يقتصر ذكر الحرب على مواضعها الخاصة بها ، ومناسباتها بين الحين والحين ، بل كان أمرها من الشمول والاتصال والحضور فى أذهان الناس بحيث تسرب ذكرها فى شتى أبواب الأدب ، واستعيرت صفاتها وأحوالها لمختلف الأغراض : ففى النسيب استعيرت السيوف والسهام للجفون واللواحظ ، والقتل لشدة التيم ، وبالسيف شبه الممدوح صقلا ومضاء وبه جرت الأمثال فقيل : سبق السيف العذل ، وشبه المتنبى المنون بعدو لاتجدى المشرفية والعوالى فى قتاله ، ولا تنجى السوابق المقربات من خببه ، وقرن التمدح بالبلاء فى الحرب بالتشبيب ، كما كان يفعل عنترة ، وكما قال أبو عطاء السندى وهو البيت الذى تمثل به صلاح الدين الأيوبى فى بعض رسائله :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

وفى الأدب الانجليزى أوصاف رائعة للحروب ، وتمجيد شائق لأبطالها ، وتفاخر بانتصاراتها وما كسبته الأمة من اعتزاز وهيبة ، وملتون ومارفيل وكامبيل وتنيسون وكبلنج فى ذلك أشعار مأثورة . وقد كان مجال القول أمام أمثال أولئك الشعراء ذا سعة : فتاريخ الأمبراطورية حافل بعظائم جنودها . نعم كانت سياسة بلادها دائماً سلمية لا تلجأ إلى الحرب إلا فى الحالة القصوى . ولا تندفع إلى ميدان القتال لمجرد الرغبة فى الظفر والافتخار . ولكن الدولة كانت دائماً عزيزة فى وطنية أبنائها وقوة أسطولها ، وقد كسب لها جيشها وأسطولها انتصارات باهرة خالدة ، ودوخ أبطالها أمثال كرومويل وملبرا ونلسون وولنجتون الأمم ، وأعلوا كلمتها فوق كل كلمة .

ولا يستأثر الشعر دون النثر بحديث الحرب ووقائعها وأبطالها بل هناك كتاب سوذى عن نلسون ومقالات ماكولى عن كليف وهستنجز وفردريك الأكبر ، وتاريخه وتاريخ جيبون ، كل هاتيك حافلة بالوصف الدقيق البليغ لشتى المواقع والحروب ، هذا إلى ما فى مختلف القصص من ذلك ، ولا يكاد يكون فى العربية من مثل ذلك سوى بعض خطب الامام على بن أبى طالب ، ورسائل فى بعض

الخلفاء إلى ولاتهم ينهونهم أن يؤذوا المسالمين أو يعيثوا فى الحرث والنسل ، وخطب بعض القواد كتلك المنسوبة إلى طارق بن زياد والتى تفيض بلاغة وشجاعة . ولا غرو فقد كان للشعر دائماً التقديم على النثر ، وقد ظل طويلا يستأثر دونه بالحفاوة

ولم يقتصر شعراء الانجليزية على نظم القصيد فى تمجيد انتصارات وطنهم وعظائم أبنائه ، بل التفتوا - كدأبهم فى كل فنون القول - إلى الماضى وإلى الخارج ، ونظموا فى المواقع التاريخية والخرافية ، إرضاء للفن وتسريحاً للخيال وتنشيطا للفكر ، فوصف تنيسون آخر معارك الملك آرثر وصفا أصبح من ذخائر الأدب المعدودة وآثاره السائرة ، أودعه كل مقدرته على تجسيم الوصف وخلق المنظر الكامل بدقائقه وألوانه وأصواته ، ونظم هاردى قصائد شتى فى حروب نابليون والثورة الفرنسية ، وكان له بحروب نابليون غرام كبير لقرب عهدها منه واشتراك بعض أقربائه فيها ، وفى تلك الحروب نظم ملحمته الكبيرة التى تعد أكبر آثار الشعر الانجليزى الحديث ، وفيها ينتقل بين شتى المناظر والأوصاف والنظرات والتأملات

ولم يخل الأدب العربى من ذم للحرب ودعوة إلى الاخاء ، ومن آثار ذلك أبيات زهير بن أبى سلمى المعروفة ، من معلقته حيث يمدح السيدين اللذين اصلحا بين عبس وذبيان بعد ما تفانوا ، ويستطرد إلى قوله : « وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم » ، غير أن ذلك قليل نادر . وقد كان الجهاد دائماً شعار الدولة الاسلامية ، وكان النزاع والغلاب دأب أمرائها ، وبذلك تفاخر فرسانها وبه امتدحهم مادحوهم من الشعراء ، وظل السيف والرمح والبنود والخيول فى شعر شعراء العربية مرادفات للعز والمجد والغلب والسيادة ، ولم يخل الأدب الانجليزى من محبذين للحرب متغاضين عن مغباتها كتنيسون الذى كان يرى الحرب وسيلة لا غنى عنها من وسائل العمران وتطهير النفوس من شوائب المادية والترف والأنانية ، غير أن الأدب الانجليزى أغنى بآثار النظرة الانسانية ، التى تبغض الحرب وتصور بشاعتها وبلاياها .

ففى قصيدته « البطولة » يقول كوبر معرضاً بملوك فرنسا : « أيها الملوك الذين يستهويكم المجد وتؤيدون بالدم دعواكم ، وتهوون بالضربة ثم تبررونها بالدفاع عن النفس ، المجد بغيتكم والحق ذريعتكم ، تسكن عبر النهر الذى يحد ملككم الحق ، ويريكم مدى ما يجوز لكم أن تنشروا عليه حكمكم ، أمة لا مطمع لها فى تاجكم ، حريصة على السلام ، سلام جيرانها وسلامها ، ولكن يا لشؤم طالع تلك الأمة ! وياشد ما تقاضاها جريرتها الوحيدة ، جريرة مجاورتها إياكم ، أما هى إلا أن تنطلق الأبواق حتى تزحف كتائبكم إلى الخارج شاقة طريقها وسط المحصول الناضج ، يطأون فى كل خطوة حياة جماهير وخبز أمة ، فالأرض أمامهم جنة يانعة ، وهى خلفهم يباب بلقع »

وفى قصيدته عن موقعة بلنهايم التى كسبها القائد النابغة ملبرا ، يصف سوذى شيخاً ألمانيا جالسا ذات مساء أمام كوخه فى أرباض البلدة التى دارت حولها رحى المعركة ، بعد جيل من حدوثها ، وحفيداه يلعبان حوله ، فاذا الطفلة ترى أخاها يدحرج شيئا مستديرا قد عثر به بجانب الجدول ، فتناول الشيخ ذلك الشىء والطفلان مشرئبان إليه يريدان أن يعلما ما هو ، حتى هز الجد رأسه قائلا . هذه جمجمة مسكين سقط يوم النصر العظيم ، وكثيراً ما أعثر بهذه الجماجم فى الحديقة ، وحين أحرث الحقل كثيراً ما يثيرها المحراث من التربة ، ولاغرو فقد سقط آلاف مؤلفة فى ذلك النصر العظيم . فيتساءل الطفلان بفارغ الصبر عن تلك الحرب وسبب تناحر الفريقين ، فيقول جدهما : شتت الانجليز صفوف الفرنسيين ، أما سبب ذلك فلا أعلمه ، بيد أن الجميع يقولون إنه كان نصراً عظيما . ويمضى واصفا كيف أحرقت مزرعة أبيه والجىء إلى الفرار وكيف هلكت الحبالى والرضع ، ثم يردف قائلا : ولكن مثل هذه الأشياء يا ابنى تحدث فى كل نصر عظيم ، فالمجد لدوق ملبرا ولأميرنا الطيب بوجين ، فتصيح الطفلة : كيف ؟ لقد كان ذلك أمراً إداً ! فيراجعها الشيخ . كلا يا بنيتى بل كان نصرا عظيما ، وكل إنسان أطرى الدوق الذى كسب تلك الموقعة ، فيصيح الطفل . وماذا كانت فائدة كل ذلك ؟ فيسلم الشيخ تسليم العاجز قائلا : أما ذاك فلا علم لى به ، بيد أنه كان نصراً عظيما .

فآثار الحرب وأحاديثها على مختلف ضروبها ظاهرة محسوسة فى جوانب الأدبين ، ولا ندحة من أن تكون ظاهرة محسوسة فالحرب ناحية من نواحى حياة المجتمع الانسانى جليلة الخطر حاضرة الأهمية دائما ، تتصل برفاهية الأفراد ومستقبل الجماعات ومصائر الدول والمدنيات ، وبالحرب تتعلق كل معانى القوة والحرية والذود عن الحقيقة ، وقد كانت الحرب أحيانا ممهدة لانتشار الحضارة وازدهار الثقافة ، كما كانت إذا استفحلت وبالا على العمران وبلاء على الانسان بيد أنها قد تركت فى الآداب تلك الأوصاف الممتعة للابسات الحروب ومشاهدها وأعقابها ، وقد خلدت هذه الآثار الأدبية الرائقة عبرة ومتاعا للألباب ، بعد أن غبرت تلك الحروب وهدأت تلك المطامع والثارات ، وذهب مسعروها ومن اصطلوا بها واستوى فى الترب القاهر منهم والمقهور ؟

فخرى أبو السعود